رحّالات القرن التاسع عشر في لبنان

النيّة والهدف

اعداد:
ماجدة الزين

كان الشرق ـ ولا يزال ـ قبلة انظار الغرب ومثار اهتمامه، الشرق، ذلك العالم الساحر، شرق الاحلام والاساطير، الغني بحضاراته وثرواته، طالما بهر الغرب، واستطاع تحريك اطماعه.

وقد شاع على الألسنة مقابلة الشرق بالغرب، فيقال شرق وغرب. والواقع ان الشرق والغرب من الكلمات العامة التي اذا اريد تحليلها عزت على التحديد. إنهما اصطلاحان مبهمان، ومن الصعوبة بمكان ان نحدد اين ينتهي احدهما، واين يبدأ الآخر[1].

يرى بعض الباحثين ان الفرق بين الشرق والغرب يعود الى المعنى الجغرافي، فيحدد الشرق بما كان شرقي البحر الأبيض المتوسط وامتداده شمالاً وجنوباً، بحيث يشمل الصين والهند واليابان والاتحاد السوفييتي وايران والوطن العربي كله بما فيه مصر واسترالية. في حين يضم الغرب اوروبة واميركا، ولكن هذا التحديد يقابل باعتراضات كثيرة ابرزها انه في اوروبة ما يعد شرقياً كجزء كبير من تركية، وفي الشرق ما يعد غربياً كافريقية الجنوبية واوسترالية.

ويرى فريق آخر ان التحديد بالخصائص أفضل، فالغرب يختص بالتقدم العلمي وبطغيان المادة، وسطحية المعتقد الديني، وشيوع فكرة السبب والمسبب لكل شيء، أما الشرق، فيتميز بروحانية خالصة، ابناؤه يؤمنون بالقضاء والقدر، ويعتقدون بالحظ وبكرامات الأولياء[2].

وأياً كان الأمر، فإن للوضع الجغرافي، بالاضافة الى الخصائص دوراً بارزاً في تكريس عالمين متمايزين في اشياء كثيرة.

والذي يهمنا هنا في تباين شرق القرن التاسع عشر عن غربه، تلك الناحية الابرز من نواحي اختلافهما، المتمثلة في الروحانية المفعمة التي كان الشرق يعيش أجواءها، وتحول الغرب عن الميدان الروحي، تاركاً للمادة ان تحتل مكان الروح في حياة الإنسان[3] فطغيان المادة والروحانية، كانتا العلامتين الاكثر تأثيراً على مجريات الأمور خلال القرن ـ موضوع دراستنا ـ.

والشرق، موطن الديانات الكبرى: اليهودية والنصرانية والإسلام، فيه هبط الوحي، وتجردت الاعتقادات، وعرف مفهوم الإنسانية التي تنشد الخير

لجميع البشر. كما انه منطلق مذاهب بوذا وكونفوشيوس وزارادشت التي ظهرت في الشرق، وانتقلت منه إلى الغرب، وقد كانت ولا تزال في الشرق، اعظم منها في الغرب[4].

ودين الشرقيين راسخ في أعماق ذاتيتهم، ويكاد يتغلغل في كل اعمالهم وتصرفاتهم، بينما الدين عند اكثر الغربيين يكاد يكون ظاهرياً فقط. يقول أحد كتابهم: «إن اكثرهم يذهبون الى الكنيسة كما يذهبون للتفرج على سباق الخيل أو لعب الكرة». هذا التدين هو سبب الاختلاف في النظرة والمعالجة لكثير من الأمور. فالعمل في الغرب يقاس بمدى نفعه وضرره فقط، بينما يقاس في الشرق بمدى حليته وحرمته[5] وبرضى الله عنه أو بعدم رضاه. كما يقدر الشرقيون عادة الحياة الأخرى في اعمالهم وغاياتهم بنفس تقديرهم للحياة الدنيا، فيحسبون حساباً لما ينالهم من الجزاء الاخروي بجانب الجزاء الدنيوي، أما الغربيون فالدنيا وحدها هي التي تدخل في حسابهم. ان الشرقيين يبنون حياتهم على الاعتقاد بأن هناك عالماً آخر هو المسمى بعالم الغيب، فيه الجنة والنار، وفيه الملائكة والمعجزات.. والغربيون، وان كان منهم من ينحو بتفكيره هذه الناحية، إلا أنهم ليسوا كالشرقيين في ذلك[6].

ومن خصائص الروحانية الشرقية مزجها الطبيعة بما فوق الطبيعة، والاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى سبب ما يحدث في العالم من خير أو شر، فكل ما في العالم من صنعه، وهو المدبّر له والمنظم لشؤونه. في حين تشيع في الغرب فكرة السبب والمسبب، فالإنسان قد يكون شقياً أو سعيداً تبعاً لسبب أو لأسباب معينة.

وليس معنى هذا انه لا روحانية في الغرب، لكن الروحانية المسيحية الغربية، هي أقل أنواع الروحانية معارضة للتطور التقدمي والاجتماعي والاقتصادي[7]. وقد عرف الغرب كيف يستخدم هذه الروحانية باخراجه إياها من الميدان الروحاني الصرف الى الميدان العملي الصرف، الأمر الذي دفعه الى تطوير نفسه ومجتمعه. فشجع العلم بنشر المؤسسات التعليمية والمختبرات التجريبية التي اخذت على عاتقها مهمة البحث المستمر للكشف عن أسرار الطبيعة، وتسخيرها في خدمة الإنسان، كما عمل على تقدم الصناعة وعلى تأمين طرق مواصلات سريعة تقرّب المسافات، وتجعل الحياة اكثر سهولة كما طوّر المؤسسات الصحية والاجتماعية.

وفي الوقت الذي بدأ فيه الغرب يقطف ثمار أعماله، فيعيش نهضة رائعة، وفّرت له مناخات من العلم والوعي والانطلاق، كان الشرق بتأثير ظروفه وأحواله كافة، يعيش حالة من التأخر والجهل، بدا فيها عاجزاً عن متابعة ركب الثورة الحياتية المستمرة، وكان على كبر مساحته وكثرة عدد سكانه ووفرة محاصيله وثرواته الطبيعية، القطعة الجغرافية الأكثر تأخراً، مستوى حياة أبنائه في الحضيض، وسلامته وأمنه على كف عفريت، عفريت المطامع الغربية[8].

فالشرق والغرب، خلال القرن التاسع عشر، ومع بداية العصر الاستعماري باتا يمثلان عالمين متباعدين في الفكر والروح، اكثر مما هما متباعدان في المسافة، وقد كان لتلك النهضة التي عرفتها أوروبة، وما أعقبها من تقدم ما جعل البون شاسعاً بينهما[9]، وزاد تباينهما اكثر من اي وقت مضى، مما يذكر بقول الكاتب الانكليزي كيلنغ[10]: الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا.

لقد أدرك الغرب في نهضته، أن الحياة على هذه الأرض ليست مرحلة استعداد لحياة أفضل بعد الموت، كما تدّعي الفلسفة الميتافيزية، كما أدرك ان الوجود علم وعمل وجهاد، في سبيل حياة أحسن وأنفع، هنا على الأرض وليس في السماء، كما وجد أنه بحاجة الى ثروات اكثر مما يملك، فيمم وجهه شطر الشرق، الغني بالكثير، اللاهي عما فيه من كنوز

وخيرات، والذي تشده روحانيته بعيداً عن هذه الدنيا، وتزهده في استثمارها[11]، فرأى أن يتخذ الروحانية مرة أخرى، طريقاً لاستغلال الشرق والسيطرة عليه.

وهكذا، بدأ الغرب يتقرب من الشرق، حاملاً في يده الأولى إنجيل الروحانية، وفي يده الثانية مغرياته من العلوم والفنون والاقتصاد، ولطالما أهمل مثالية إنجيله مقدماً عليها هذه المغريات، إذ كان هدفه تحبيب الشرق به، فيأخذ منه اكثر مما يعطيه، ان لم يكن عن طريق الملاينة، فعن طريق القسر.

وقد كان في مصلحة الغرب ان يبقى الشرق غارقاً في تأخره وجهله كي يسهل عليه استثماره، لذلك جعل يلهيه عن واقعه المحسوس بالغيب المجهول، كي يبقى غارقاً في وهم الخرافات والأساطير، معللاً نفسه بعالم آخر، تاركاً للغرب هذا العالم، لقد عرف الغرب كيف يفيد من روحانية الشرق، وكان يساعد على تمكين أواصرها فيه كي يترك له وحده المجال للتحكم بهذه الدنيا، فيكون له الواقع الذي في اليد، وللشرق الخيال الذي لا تطوله ولا تراه عين، ولا يحده ادراك[12].

ولم يكن الغرب، في تفكيره في اجتياح الشرق والاستفادة من ثرواته، يحاول فقط سد العجز الحاصل في ميزان احتياجاته، سواء بالحصول على ما ينقصه من غلال زراعية ضرورية لاستهلاكه الخاص، باعتبار أراضيه أراض غير زراعية، أو الحصول على مزروعات صناعية ومواد خام تحتاجها مصانعه، بل كان في تفكيره بغزو الشرق، يحاول مقاومة خوف كبير يزلزل كيانه، هذا الخوف يتمثل في الدين الإسلامي، الذي تسكن غالبية أتباعه في الشرق.

فمما لا شك فيه ان الانتشار السريع للإسلام في المشرق والمغرب قد لفت انظار رجال اللاهوت المسيحي إليه، وجعلهم يتربصون لابعاده عن دولهم التي كانت تخشى اتحاد المسلمين، وترى في ذلك خطراً يهدد كياناتها[13].

يرى المستشرق الألماني كارل بكّر: «ان الاسلام لما انبسط في العصور الوسطى أقام سداً في وجه النصرانية، ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها»[14].

وقريب من هذا قول غاردنر: «ان القوة التي تكمن في الإسلام، هي التي تخيف أوروبة».

كما ان لورنس براون يضيف قائلاً: «لقد كنا نُخوَّف بالخطر اليهودي وبالخطر الأصفر وبالخطر الشيوعي، إلا ان هذا التخويف لم يتحقق، بل وجدنا اليهود أصدقاء لنا، وعلى هذا يكون كل مضطهد لهم، هو عدونا الأكيد. ثم إننا رأينا البلاشفة حلفاء لنا، اما الشعوب الصفر؛ فستكفينا إياهم دول ديمقراطية كبرى، ويبقى الخطر الحقيقي علينا كامناً في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والاخضاع، فضلاً عن حيويته، إنه الجدار الوطيد في وجه الاستعمار الأوروبي».

ويضيف قائلاً: «اذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن ان يصبحوا لعنة عبر العالم وخطراً، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير[15].

لقد كان الخوف من قوة المسلمين، وتهديد الدين الاسلامي للدول الاوروبية، بالاضافة الى البحث عن أسواق جديدة لتصريف المنتجات الصناعية، والحصول على المواد الخام، واستثمار الأموال الفائضة لدى الاوروبيين في مشاريع مالية وتجارية خارج اوروبة، دافعاً للدول الكبرى لكي تتزاحم على الأراضي التي يمكن استعمارها خارج القارة الاوروبية.

فبعد حروب الثورة ونابليون، وما تلاها من الثورات القومية والدستورية بدأ عصر جديد من النشاط الاستعماري والتنافس الدولي على مناطق العالم[16]، إذ طمعت اوروبة في خيرات القارات غير

الاوروبية، ودفعها طمعها هذا الى القيام بمغامرات توسعية واستعمارية، حتى استطاعت دولها أن تسيطر في نصف قرن تقريباً من 1914,1850 م على مساحة من الأراضي فاقت مساحة الأراضي التي استعمرتها من قبل طوال ثلاثة قرون متتالية، ولقد تركزت حركة السيطرة هذه في أواخر القرن التاسع عشر في قارتي افريقية وآسية وكان لانكلترا وفرنسا نصيب الأسد من هذه الحركة، على حين فازت ايطالية وبلجيكا وروسيا، وكذلك اليابان والولايات المتحدة الاميركية ببعض الأجزاء.

وهكذا أصبح الصراع على السيادة صبغة دولية تشترك فيها معظم القارات[17].

لقد نهض الغرب نهضته الكبرى، وفار فورته الصناعية، وأنتج أشياء كثيرة، ورأى ان اسواقه وحدها لا تكفي في تصريف سلعه واستهلاكها فاتجه نحو الشرق، وكان الشرق أيامها في تأخر وانحطاط، فلم يستطع الصمود أمامه، وظلت دوله تسقط في يد الغربيين واحدة اثر واحدة.

من هذا الطريق تسلل الغرب إلى الشرق، متذرعاً بكافة الوسائل ومتنكراً بأوجه واقنعة عدة[18].

كان يتدخل في حياة الشعوب، ويدس أنفه في شؤونها، زاعماً أنه يحاول الأخذ بيدها في طريق الحضارة، إنه يريد «تمدينها»[19].

لقد كثرت أساليب السيادة المقنعة بعد منتصف القرن التاسع عشر، فتكاثرت دعاوي المستعمرين التي يسوغون بها تسخير الامم أو يسوغون الاستئثار بذلك التسخير، وكانت دعاويهم جميعها تتمحور «حول أمانة ومسؤوليات الرجل الأبيض» ويزعمون أن مسؤولية التعمير واجب على الأمة المتحضرة نحو الإنسانية جمعاء إنها حق إنساني يقاوم حق الشعب المغلوب على أمره[20].

وقد كان الغربيون يحرصون في سيطرتهم على بلد من البلدان على إبقاء أهله في جهلهم وخلافاتهم، كي يسهل عليهم استغلالهم والسيطرة عليهم، وكانت شعوب الغرب المعروفة بديمقراطيتها وتقدميتها تناصر قوى التحكم في البلدان الطامعة باستعمارها، فتتحالف مع الاقطاعيين ورجال الدين المتزمتين، وتغدق عليهم العطايا، كي يساعدوها على كبت وعي شعوبهم، اذ ان همها الأول، هو ان لا تستيقظ الشعوب، لأن يقظة الشعوب تعكر على الاستعمار صفو حياته.

وعبر اساس من مصالحهم، كانوا يوجهون العمل والاقتصاد في البلاد الأخرى، فيشجعون الزراعة وينظمون الري ويعملون على مد السكك الحديدية، في حين كانوا يمنعون التصنيع حتى تتمكن دولهم من ترويج منتجات مصانعها، أو بيعها للناس باسعار مرتفعة، ثم يشجعون التعليم ولكن بقدر ما يوجد هذا التعليم موظفين صالحين للسير بالادارة الحكومية لا اكثر؛ إذ كان من وسائل الغرب المساعدة على تفشي الجهل والأمية، فإذا اضطر الى نوع من التثقيف، اختار أبسط انواع الثقافة. ألم يعارض اللورد كرومر - اثناء الاحتلال البريطاني لمصر فتح الجامعة المصرية، مع انه كان يشجع تعميم المدارس الابتدائية؟ ان التعليم الابتدائي في مصر لا يضر بالانكليز، أما انتشار التعليم الجامعي فيزلزل الارض تحت أقدامهم[21]، لما له من تأثير قوي في يقظة الشعب ووعيه، لقد كان الغرب يحرص على تقنين العلم والوعي في مستعمراته لأن العلم الكامل، والانفتاح على الحقيقة من شأنها تقويض اركانه -

هكذا كان الغرب، غرب القرن التاسع عشر، وهكذا كانت دوله تملك او تستعمر بلدان الدنيا كلها، وتستثمر مواردها وخيراتها وتتحكم بمصائر شعوبها، إذا اعطتها القليل، فما ذلك الا لتستأثر بالكثير وبالأفضل، ولذلك كانوا يتسامحون في اعطاء الشعوب جرعات مقننة من حضارتهم، وفتاتاً من

ثقافتهم في سبيل خدمة مصالحهم في هذه المستعمرات.

ان ما يدّعيه الغرب من ان احتلاله لأراضي الغير وسيطرته على الشعوب الأخرى، كان الغرض منه تمدين هذه الشعوب هو ادعاء كاذب ومضلل، والواقع شاهد على ذلك، فتجارتهم لم تكن يوماً لإغناء الاراضي المستعمرة، ولا بعثاتهم كانت لتعليم الشعوب الأخرى، وانما كان ذلك كله لخدمة مصالحهم، ولجني الأرباح الوافرة.

هذه الاطماع التوسعية التي استثيرت ضد الشرق، بدأت منذ أوائل القرن الماضي تأخذ مكانها في فكر المستعمر الاوروبي ومشاريعه. لكنه كان بحاجة الى عيون ودعاة ورسل، وقد اجتمع هؤلاء في تسميَة واحدة هي: الرحّالات.

وقد بدأ الرحّالات الاجانب بالتقاطر على بلدان الشرق من مختلف أنحاء اوروبة، متدفقين باعداد كبيرة، رغم ارتفاع نفقات السياحة والسفر[22] ورغم صعوبة طرق المواصلات وتأخرها.

ولما كان لبنان واحداً من بلدان الشرق، ويستأثر باهتمام دول اوروبة التي تحاول ايجاد موضع قدم لها فوق اراضيه، تستطيع عبرها ومن خلاله النفاذ الى الشرق العربي، فقد شهد توافد الكثير من السياح الذين اختلفت جنسياتهم ومشاربهم واهواؤهم.

لقد تدافع رحّالات الغرب الى لبنان، تشدهم الى هذه البقعة صوفيتها الغامضة، وروحانيتها الملهمة، وما فيها من جمال ساحر.

لكن، لم يكن الجميع مدفوعين بتلك الحماسة، مزودين بتلك الأحاسيس فقليلون هم الرحّالات الذين جاءوا لبنان بدافع التعرف الى جماله، ومشاهدة آثاره الرائعة، وقليلون ايضاً من زاروا بلادنا بنفوس صافية همها فقط تأمل الجمال الساحر الذي خُص به لبنان، والتمتع بروعة المخلفات الأثرية فيه.

فلامارتين، الشاعر والرحالة الفرنسي، الذي زار لبنان سنة 1833 فبهرته جبال لبنان التي تشبه جبال الألب، يقول[23]

لم يسبق لي، ان تأثرت بروعة جبال في العالم، كما تأثرت بروعة جبال لبنان، فللبنان طابع لم أقع على مثله لا في جبال الألب ولا في جبال طوروس، فهو مزيج من روعة الخطوط والقمم، وجمال التقاطيع وتنوع الالوان.

لبنان جبل عظيم، فهو جبال الألب تحت سماء آسية، تغمس قممها الهوائية في صفاء عميق من جمال ازلي».

ولبنان في مرآة جون كارن[24] ـ الرحالة الانكليزي ـ

دنيا من الجمال الرقيق، العذب، الصامت والمنفرد.

واذا كان لامارتين وقلة امثاله، قد قصدوا لبنان، تحدوهم الرغبة الأكيدة في التمتع بجماله، فإن رحالات كثر نزلوا لبنان تتنازعهم رغبات شتى، وتحرك افكارهم نوايا ونوازع خفية.

فبعض الرحالات، كانوا يحاولون ـ عبر وجودهم في ربوع لبنان ـ التعرف الى أحوال الشرق العربي، وبالتالي أوضاع الدولة العثمانية.

ويبدو ان جيرار دي نرڤال، مؤلف كتاب «رحلة الى الشرق» من ذلك الفريق، إنه على ما يظهر عضو في جهاز استطلاع يعمل لمصلحة بلده فرنسا، انطلق الى الشرق بقصد معين ومهمة أنيطت به من قبل حكومته لاستطلاع احوال هذا الشطر من العالم.

إنه يقول بهذا الصدد، معترفاً صراحة بما يقوم به[25]:

«ان المرء يصبح شديد التسامح في الاسفار، ولا سيما حين لا يكون له من هدف سوى الاستطلاع والرغبة في ملاحظة العادات».

ويقول في موضع آخر[26]:

«أما عن الفرنسي، فحاول ان تضبطه مرة، وقد تمدد فوق أريكة أو حصير، ما دامت في رأسه مسألة أو رغبة، أو حتى مجرد حب استطلاع بسيط، ان عفريت الظهر قلما يجثم على صدره، والقزم «سحارا» الذي لا شكل له، انما يقف ويدير حدقتيه الصفراوين وسط رأسه الضخم لغيره وليس له».

وهو يكاد يصرح بصفته «الرسمية» في حديثه مع صديق له، كان يراسله باستمرار، عندما يقول[27]:

«كيف اجرؤ بعد الآن، على أن أبعث برسالة خاصة عن طريق البريد الامبراطوري».

ومما قاله أيضاً[28]:

«ان محطات السكة الحديد ذات الارقام الدقيقة، والبواخر ذات المواعيد المحددة التي تصل في ساعات وايام محددة، لا يرتاح الشاعر ولا الرسام اليها، بل ولا حتى عالم الآثار البسيط، أو من كان مثلي من جامعي المعلومات».

كما ان حديثه، مع القس الانكليزي، يساهم في رسم هذه الصورة التي اعتبر فيها دي نرڤال من رجال الاستطلاع الرسميين، لنسمعه يقول[29]

كان قادماً لتوه من الجبل، وسرني ان اتمكن من استخلاص بعض المعلومات عنه، قبل ان انفذ انا بنفسي الى هناك...

وفي نفس المعنى، يتطرق لويس لورتيه، في كتابه «مشاهدات في لبنان» وهي فصول مترجمة من كتابه «سورية اليوم» يتحدث عن زيارته لشيخ قرية «حناويه» الجنوبية، واستفساره منه عن بعض المسائل، يقول لورتيه[30]:

«في صباح الغد، ذهبت لزيارة شيخ القرية، وقد اغتنمت هذه الفرصة السانحة لأسأله بعض المعلومات عن الشعب المتوالي، واصله وديانته وعاداته.

وكان هذا الشيخ رجلاً لطيفاً، شديد الذكاء، متلقياً معارف عالية، ماهتم باجابتي على اسئلتي».

كذلك تشكل معلومات هنري غيز[31] وجيرار دي نرڤال[32]، عن عقيدة الدروز، ونشأة الموارنة، وبعض عادات الشيعة، نتيجة طبيعية لاستطلاعات قاما بها، اثناء وجودهما في لبنان

وقبل ان نمضي الى نمط آخر من الرحالات، ينبغي التنبه الى أن هؤلاء المستطلعين كانوا يحاولون من خلال وضع لبنان والشرق، التعرف الى احوال الدولة العثمانية، فقد كانت تركية قد اصبحت ضعيفة النفوذ، وكانت الدول الاوروبية تحاول انتهاز الفرصة لتقاسم ممتلكاتها فيما بينها.

ان لامارتين، بذهنية ابناء قارته من الاوروبيين جسّد هذه الاطماع والنوايا في قطعته التالية[33]

«في حالة سقوط هذه الامبراطورية، اما نتيجة لثورة في القسطنطينية، أو لتفكك مستمر، فإن كلاً من القوى الاوروبية ـ تأخذ كمحمية لها ـ الجزء من الامبراطورية الذي تخصصه لها قرارات المؤتمر، وان تكون هذه المحميات محددة تبعاً للجوار، وحماية الحدود، والتقارب في الديانة والعادات والمصالح... هو مما يزيد سلطة القوى الاوروبية ثباتاً، وهذا النمط في السيادة المحدد على هذا النحو، والذي يعتبر حقاً اوروبياً يتمثل أساساً في حق احتلال جزء من الأرض أو من السواحل لتأسيس إما مدن حرة أو جاليات أوروبية أو موانىء ومكاتب تجارية... والدول الأوروبية لا تمارس على محميتها سوى وصاية عسكرية وحضارية، فهي تضمن لها بقاءها وعناصر قوميتها، وذلك تحت راية قومية أقوى..».

كما قلنا، يحاول لامارتين هنا كشف نوايا الدول الاوروبية تجاه ممتلكات الدولة العثمانية وتفكير كل واحدة في الحصول على جزء من هذه الممتلكات يشكل القسم المحاذي لحدودها. إن لامارتين بذلك يترجم هذه المقولة: كان الغرب ولا يزال يخشى الشرق[34] لأن الغرب كان يخاف من اي تكتل

شرقي، بل يخشى قوة الشرق بشكل عام. لذلك فكروا بتقاسم املاك الدولة العثمانية لأنه بتفكيك عراها يتخلص الغرب من تكتل شرقي اسلامي، كان دائماً يشكل هاجس خوف كبير لهم. لقد كانوا يعملون على تقاسمه لكي يخففوا من خطره، كذلك كانوا يحاولون استعماره بهدف تفتيته والقضاء عليه.

واذا كان استطلاع هؤلاء الرحّالات، يهدف الى خدمة بلادهم بتكليف رسمي منها، فإن كثيرين نزلوا هذه البلاد، ودرسوا احوالها الاجتماعية والسياسية ونمط حياة سكانها وطريقة معيشتهم ووضعوا كتباً في ذلك استطاعوا ان يؤدوا نفس الخدمة دون ان يكونوا مكلفين رسميين.

في هذا السياق، يعتبر كتاب في **بلاد الموارنة** (بالفرنسية Au Pays des Maronites) مساهمة جيدة في هذا المجال، ومحاولة لا بأس بها، ان مؤلفته مدام دي بيولون، تتحدث في سرد بسيط عن المناطق التي زارتها وعن انماط الحياة والسلوك هنا، في بلادنا:

لقد كان هناك من قصد لبنان للسياحة والتأمل، ومن قصده مستطلعاً، خدمة منه لأهداف توسعية تهم بلاده. بالاضافة الى من كانت خدمة بلاده، قد دفعته الى هذه البلاد، لإثارة الفتن والقلاقل، وإشاعة جو من الفوضى والاضطراب في اجوائها. كما نفهم من حوار المبشر الانجليزي وجيرار دي نرڤال في سياق حديثهما عن الخصومة والعداوة بين الدروز والموارنة التي كان الأجانب يؤججونها، عن طريق بعض رجالهم، ممن يقصدون بلادنا، مدعين الرحلة والسياحة.

يقول المبشر الانكليزي، مجيباً دي نرڤال، متحدثاً عن هذه النقطة[35]:

انهم مزارعون تعساء، لا يفكرون في اي شيء، أما أنتم (أي الفرنسيين) فلديكم ما لديكم من شمامسة ويسوعيين ورجال المحجر (الحجر الصحي) الذين يشعلون نار الحرب، ويثيرون ثائرة المارونيين ضدهم، وهم يفوقونهم عدداً، ويدافع الدروز عن انفسهم ما استطاعوا الى ذلك سبيلاً، ولولا الانكليز لكانوا قد سحقوا»

وقد كانت الليدي استير ستانهوب ـ الرحالة الانكليزية ـ التي استقر المقام بها في بلادنا، فقضت في هذه الربوع بقية عمرها حتى توفيت، كانت تتدخل دائماً في شؤون لبنان، فتدس الدسائس وتدير المؤامرات، وتعمل على اثارة طوائف معينة ضد الحكام[36].

وبين الرحالات ايضاً: عدد كبير من المشتغلين بعلم الآثار، وقد قام هؤلاء باكتشافات اثرية قيمة في بلادنا، وكانت كل بعثة تقوم بمسح شامل للمناطق التي تزورها، فتذكر المدن الموجودة، وتشير الى المدن الدارسة، وكانت هذه البعثات لا تقصر همها على تدوين المعلومات وتسجيلها، بل تعدت ذلك الى ارسال عينات ونماذج من المواد المعدنية والنباتية الى المختبرات والجامعات الأوروبية لدراستها وتحليلها.

وقد كان القسم الأعظم من هذه البعثات، بعثات رسمية تمولها وتشرف عليها جهات حكومية، وقد تعددت اغراض هذه البعثات ومراميها، كما تعددت جنسياتها واللغات التي كانت تتكلمها، فكان افرادها يمثلون أمماً مختلفة وجنسيات وديانات متباينة، يجمعها امر واحد، هو الولوج الى قلب لبنان وجمع المعلومات عنه، والاستفادة كثيراً من كنوزه الأثرية، التي ارسل قسم منها الى الغرب، لتجد مكانها في المتاحف والقصور.

واذا كانت هذه البعثات قد أسدت خدمة كبيرة لنا، بتنقيبها عن آثارنا واظهارها ما يحويه لبنان من هذه الكنوز، إلا أنه كان لأعمالها ـ من جهة أخرى ـ سلبيات كثيرة، لعل ابرزها، ظاهرة تسريب اجمل آثارنا الى الخارج، فقد كانوا يشترون اهم آثارنا المكتشفة، ويرحلون به بعيداً، ليقدموه هدايا لحكوماتهم، ينالون عن طريقه جاهاً وحظوة ولم نكن

أيامها على مستوى من الوعي ومن الثقافة التاريخية والاثرية، تجعلنا نقدر أهمية الكنوز الأثرية التي تملأ بلادنا فتناثر تراثنا الأثري وتبدد، وتوزعت اثارنا على متاحف العالم كافة، وفي كتابات الرحالات جميعاً، اشارات الى امثال هذه الحقائق.

يقول لورثيه، عن عادة السكان المحليين في كل منطقة بيع ما يكتشف من آثار في نواحيهم[37]: **خيمنا في جبيل، خارج القلعة.. وعند المساء جاءنا كثيرون من تجار العاديات والباحثين عن الكنوز، وعرضوا علينا اواني من الخزف والشبه والحجارة المنقوشة»**

ويقول في موضع آخر، عن تصرف مماثل صدر هذه المرة عن اهالي بلدة قانا الجنوبية:[38]

وقانا، ولا بد بلدة فينيقية قديمة، لأن سكانها جاءوا إلينا حاملين اكواباً من الزجاج وقوارير دموع حسنة الشكل، وجدوها في مدافن المقبرة المجاورة، وعرضوها علينا لنشتريها».

ويقول ادوارد روبنسون في كتابه **يوميات في لبنان،** يتحدث عن صفقة شراء حجرين عليهما نقوش يونانية، في سياق حديثه عن دير القلعة: فقال:[39]

«عند وصولنا الى دير القلعة، صادف وجود الرئيس العام للأديرة المارونية فساومه الدكتور دي فيرست (احد الاعضاء المرافقين في بعثة روبنسون) **على مشترى حجرين عليهما نقوش يونانية، فلم يعترض على بيعهما، وعين لهما ثمناً معقولاً، ووعد بتسليمهما قريباً في بيروت، ولكنهما لم يصلا».**

ويعترف لورثيه في موضع آخر من كتابه **««مشاهدات في لبنان»**، بشراء الباحثين للآثار القيمة باسعار مناسبة فيقول:[40]

«والذي سرني في هذه القرية، انني استطعت ان أشتري وبعد مفاوضات طويلة، ايقونة فينيقية بمبلغ زهيد، وهذه الايقونة عثر عليها في جوار القرية، وهي من شب اصفر فيه عروق سوداء محدبة قليلاً، ومنقوشة بنقش دقيق، يمثل على صفحتها رجلاً كابحاً جماح تيسين واقفين على قوائمها الخلفية».

ويعود لورثيه ليعترف ايضاً[41]:

«في متحف ليون الانتروبولوجي، مجموعة من الطناطير[42]، جمعها صديقنا العالم الدكتور سوكة، الطبيب الصحي في بيروت».

أليس اعتراف لورثيه هذا مع ما سبقه، دليلاً على تهريب آثارنا الى الخارج؟ أليس فيما قيل حتى الآن دليل واضح وصريح على ما سبق ووجه من نقد لسلبيات المساعدة الأجنبية للبنان؟ اليس ذلك موافقاً لما قيل عن أخذهم الكثير باليمين، واعطائهم القليل باليسار؟ على كل، لا تزال في اعترافات اعضاء البعثات الاثرية، مزيد من الأضواء الكاشفة

يحدثنا أيضاً لورثيه، عما كانوا يعودون به من المغانم، بعد كل رحلة أثرية فيقول:[43]

«حملنا معنا في هذه الرحلة الطويلة مجموعات علمية خطيرة، واكثر من مئتي صورة، وحصاداً غنياً من التذكارات».

وهو ينقلنا الى بيت صديقه السيد بيريتيه، عالم الآثار لنعرف[44]: **«السيد بيريتيه عالم اثري محترم، جمع في منزلة الفخم، القائم في رأس بيروت، متحفاً فيه أنفس وابدع ما يكون من التحف الأثرية، التي وجدت في بلاد الشام، وهو منذ اربعين سنة يشتغل في تنظيم هذه المجموعة، فقد كان يحمل إليه كل شيء يعثر عليه هنا».**

أما عن هدايا اعضاء البعثات التاريخية والأثرية لحكوماتهم[45] فيعرض لها لورثيه، في سياق حديثه عن تابوت اشمنغرز ملك صيدون فيقول:

«هناك، في قاعدة الصخور الشمالية من المقبرة الفينيقية، زرنا ودليلينا القبر المشهور، قبر ملك صيدون اشمنغرز، الذي اهدى تابوته الفخم الدوق دي لوين إلى فرنسا، فكان من أثمن الآثار في متحف اللوفر».

واذا كان هؤلاء، يشترون ما يعرض عليهم من

الآثار، بما زهد من الاسعار، »إلا ان آثاراً اخرى، لا تقل عنها قيمة وجمالاً قد ضاعت وتبددت نتيجة لاستيلاء السياح عليها، يقول لورثيه في هذا المجال[46] :

«**وكثيراً من المغاور المدفنية التي كشفتها حفريات رينان كانت مطلية بطلاء مزدان بصور تمثل ازهاراً وطيوراً، وقد انتزعت هذه التصاوير قطعة قطعة، انتزعها إما سياح لا وجدان لهم أو الباحثون عن الكنوز**».

واذا كانت آثارنا الحجرية، قد انتقي أجملها واعظمها لترسل إلى متاحف العالم، فإن نفائس من نوع آخر، قدر لها ان تهاجر ايضاً، إما بطريق الشراء وإما عن طريق الهدايا، وإما عن طرق أخرى، لكي تسكن دور الكتب، واماكن بارزة في اكبر مكتبات عواصم الغرب، تلك هي مخطوطاتنا نفائسنا التي حفظت لنا ما مضى من حوادث وأخبار، وحوت أهم مبادىء العلوم والآداب، وضمت أهم ما حكم مجتمعنا من قوانين أعراف.

لقد اهتم الغرب بما لدينا من مخطوطات متناثرة هنا وهناك، فعمل على الحصول عليها بشرائه خزائن الأديرة، والمخطوطات التي كانت بحوزة الأفراد والأسر. لقد كان الامراء الأوروبيون والمهتمون بالأشياء القديمة يرسلون من يشتريها من الشرق، وكان جهل البعض منا من جهة، وضيق ذات اليد من جهة اخرى، وراء تسرب تراثنا من المخطوطات الى الخارج.

يقول الخوراسقف بطرس الجميل، في نشرة بعنوان **المخطوطات المارونية في العالم** أصدرها الفرع الثاني لكلية الاعلام والتوثيق في الجامعة اللبنانية ببيروت في حديثه عن اماكن وجود المخطوطات المارونية في العالم[47].

«**في مختلف المدن والعواصم الاوروبية دور كتب معروفة تضم عدداً لا يستهان به من المخطوطات المارونية، وخاصة انها تضم أقدم المخطوطات واغلاها، وقد وصلت هذه المخطوطات اليها، إما عن طريق الشراء، حيث كان يرسل من يشتريها من هنا، وإما عن طريق الهدايا، أو غيرها من الطرق**».

كما يتحدث في مكان آخر من نفس النشرة، في سياق حديثه عن المخطوطات الموجودة في مكتبة الفاتيكان فيقول[48]:

«**وصلت هذه المخطوطات الى الفاتيكان، بعضها على يد القصّاد المرسلون من أمثال إليانو** 1578-1580 م، وبعضها على يد الموارنة انفسهم من تلاميذ المدرسة المارونية في روما. وخاصة يوسف سمعان سمعاني، الذي كان مديراً للمكتبة الفاتيكانية، والذي كلف بشراء ما تصل اليه يده في النصف الاول من القرن الثامن عشر».

كذلك يتحدث عن وصول مخطوطات مارونية الى مكتبة القديس لورتسيوس في فلورنسة، بسبب العلاقات الوثيقة التي ربطت امراء فلورنسة بلبنان والموارنة[49].

على كل، فمكتبة الفاتيكان والمكتبة الوطنية في باريس، بالإضافة الى الكثير من المكتبات العامة، قد اشترت مجموعة من اديرة الشرق وخزائنه[50].

ويقول بعض رهبان دير المخلص في سياق الحديث عن دير البلمند[51]:

«وكغيره من الاديار القديمة، كان البلمند يحوي خزانة مخطوطات، وكانت خزانته نادرة المثيل في تلك الايام، فقد نشطت فيه الحياة العقلية، وعمل كثير من رهبانه في نسخ المخطوطات، فأغنوا مكتبته، لكن صروف الدهر، وأيادي الضياع، بددت القسم الأكبر منها، فإن الأب شيخو يذكر من (المخطوطات العربية لكتبة النصرانية) بضعة كتب لم نجد نحن لهن اثراً، كما ان بين المخطوطات الثمينة التي اهداها البطريرك الانطاكي غريغوريوس الرابع حداد سنة 1913 الى قيصر روسيا نقولا الثاني عدداً غير قليل كان يخص

البلمند، علاوة على ما هاجر الى المكتبات الاوروبية بمختلف الطرق».

كما يخبرنا الرحالة روبنسون، ان الاجانب كانوا يشترون المخطوطات ويودعونها مكتبات الارساليات، ومن ثم يرسلونها الى مراكز المستشرقين في الخارج، انه يعرض لهذا الموضوع فيقول: [52]

«**تألفت في بيروت جمعية العلوم والفنون الوطنية مطلع عام** 1847 بمعاضدة بعض المرسلين، وقد ضمت الجمعية مكتبة حوت اكثر من سبعمائة وخمسين مجلداً بينها خمسمائة وسبع وعشرون مخطوطة عربية وتركية، ومئتان وتسع وعشرون كتاباً مطبوعاً في لغات مختلفة، ومن بين المخطوطات خمسمائة واربع عشرة مخطوطة اشتريت كمجموعة واحدة بلغ ثمنها سبعة آلاف قرش او نحو مئتين وثمانين دولاراً، اكثرها قديم جداً، يرقى بعضها الى سبعة قرون او ثمانية وهذه المجموعة كانت تخص عائلة من الأشراف حطّ عليها الدهر واجبرت على بيع مكتبتها، والمجموعة غنية بالفقه الاسلامي والقانون والبيان والمعاني والمنطق والرياضيات والطب والتاريخ والفلسفة».

وقد كان بين رحّالات القرن التاسع عشر مبشرون، هدفهم دعوة الناس لاعتناق الديانة المسيحية، ويعتبر **جون كارن**[35]، الرحالة الذي زار لبنان حوالي سنة 1836 وصاحب كتاب **سورية والارض المقدسة وآسيا الصغرى** احد هؤلاء المبشرين، كما يعرفنا جيرار دي نرفال الى مبشرين كثر التقى بهم في بيروت، امثال المبشر الانجيلي الذي صادفه في مطعم باتستا، والقس الفرنسي، الاب بلانشيه. كما نتعرف بواسطته الى مدام كارليس، المبشرة الفرنسية، التي كانت تدير مدرسة لتعليم الفتيات.

كان هؤلاء نموذجاً بسيطاً، لأعداد كبيرة من المبشرين غزت بلادنا لدعوة غير المسيحيين الى النصرانية.

ففي محاولة الغرب غزو الشرق، عمد الى التبشير، يحاول بواسطته السيطرة على هذا الشرق. وعلى القوة الاسلامية التي يمثل، مستخدماً لذلك الكنائس والمدارس والمستشفيات والمياتم وغيرها.

وقد تعددت فرق المبشرين بتعدد مذاهبهم، فهناك من دعا للمذهب الكاثوليكي، وهناك دعاة للمذهب البروتستانتي، ودعاة غيرهم لغيره من المذاهب.

وقد ابتدأ التبشير دينياً أول الأمر، حاول المبشرون من خلاله اجتذاب العديد من اتباع الديانات الأخرى الى المسيحية، متبعين في ذلك طرقاً واساليب عدة، ومعتمدين على مغريات شتى، فقد كانوا يقومون بتوزيع نسخ من الانجيل على من يريدون التبشير لهم، كما كانوا يستميلون البعض بالهدايا.

هذا ما يحاول جيرار دي نرفال نقله الينا من خلال حديثه مع القس الانكليزي.. يقول المبشر الانجيلي متحدثاً عن توزيعه نسخاً من الانجيل على جماعة من الدروز كان يريد تبشيرهم[54].

«**وقد تقبلوا اكثر من ثلاثمائة نسخة من الانجيل، وتمكنا من التبشير لكثير من هؤلاء القوم الشجعان**».

وقد قام هذا المبشر امام دي نرفال باستعراض مجلد يحتوي على طائفة من الاعترافات والإمضاءات والأختام العربية قائلاً له:

«**هاك تفصيل المرات التي توصلت فيها الى التبشير للناس في دورتي الاخيرة لصالح ديننا المقدس**[55]».

ويقول دي نرفال، إنه الى جانب كل اعتراف في المجلد، كانت هناك قائمة بالهدايا والمنح المالية التي قدمت الى من دخلوا حديثاً في المذهب الانجيلي.

ولم يلبث هذا التبشير ان انتقل الى الطوائف المسيحية نفسها، فكان اتباع كل مذهب، يحاولون اجتذاب اتباع المذاهب الأخرى الى صفهم، فدعاة البروتستانتية كانوا يحاولون اجتذاب مسيحيي المذهب الكاثوليكي، وبالعكس، كان المبشرون الكاثوليك، يعمدون الى اساليب كثيرة لاجتذاب اتباع المذاهب

الأخرى الى حركتهم، مما خلق نوعاً من التوجس والحذر بين هذه الطوائف، تمثل في اتهامات كانت توجهها كل طائفة الى الأخرى، هذه المشاكل تظهر جلياً في قول الشاعر القروي، رشيد سليم الخوري، الذي يتكلم باسم النصارى الذين يتألمون من اضرار المبشرين كلهم والبروتستانت خصوصاً فيقول:[56]

«أما من الناحية الدينية، فإن اقامتي الدليل على عدم نزاهتهم (أي عدم نزاهة المبشرين) **لا تقتضي ان اكون بارعاً في الجدل، أو عالماً شهيراً بالتاريخ. ان طوائفنا العديدة.. قد زيدت بفضل تعرفنا على الرسالة الاميركية طائفة جديدة اسمها الطائفة الانجيلية.. وكم انفق الاميركيون.. لكي يعرفون الى مواطننا السيد المسيح ودينه.. كأننا اشد افتقاراً الى فضائل المسيحية من الامريكيين انفسهم!»**.

لكن هذا النوع من التبشير لم يكتب له النجاح، لأن هذه الرسالة الدينية لم يكن لها في نفوس الناس ذلك الصدى الذي ترقبه المرسلون فتوقف التبشير بشكله السافر والصريح، وعمد رؤساء حركات التبشير الى تغيير اتجاهاتهم وتلوين حركاتهم وتمويهها، فنجحوا في التستر بأقنعة عدة استطاعوا من خلالها مواصلة التبشير بالمسيحية تحت ستار العلم والتطبيب واعمال الخدمة الاجتماعية.

وقد كان التعليم في مقدمة الوسائل التي اتبعوها، وقد كان بعضهم يرى ان المدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي اكثر من اي قوة اخرى، ثم ان هذا التأثير يستمر حتى يشمل هؤلاء الذين سيصبحون يوماً ما قادة في بلادهم.

لذلك توسعت الإرساليات في التوسل بالتعليم في بلادنا، وعممت مراحله من الروضة وحتى الجامعة، مؤمنة كل ما يلزم في هذا المجال لاتمام العملية التعليمية من معلمين وكتب تدريس وموظفين وتلامذة ذكوراً وإناثاً.

وقد رأوا ان عملهم **يجب** ان يبدأ في مدارس الصغار، لأن التبشير بين الصغار عن طريق التعليم يرسّخ في نفوسهم عقيدة المسيحية.

كذلك كان لهم في مجال تعليم الصغار اهداف اخبث وابعد، يكشفها جون موط في قوله:[57].

«يجب ان نؤكد في جميع ميادين التبشير، جانب العمل بين الصغار وللصغار، ان الأثر المفسد في الاسلام يبدأ باكراً جداً، من اجل ذلك يجب ان يحمل الأطفال إلى المسيح قبل بلوغهم سن الرشد، قبل ان تأخذ طبائعهم اشكالها الإسلامية».

كم تكشف عبارة موط هذه حقيقة التبشير وبواعثه، إنه ليس الاصلاح والحياة الروحية كما يدعون، ولكنه الإفساد والتوسل الى السيطرة.

ان مدام كارليس، المبشرة الفرنسية **التي كانت تدير مدرسة لتعليم الفتيات، والتي قصدها دي نرفال، ليترك جاريته زينب في عهدتها، مدة وجوده في الجبل، كانت تشاطر المبشرين ضرورة التبشير بين الصغار والصغيرات، انها ترى بأن التبشير بين الصغيرات في السن اجدى وانفع ذلك**[58] **قبل ان ترسخ عقائدهن.** وتكمل قائلة: **ان الحصول عليهن** (اي الفتيات اللواتي تريد تبشيرهن بالمسيحية) **في مثل هذه السن المتأخرة يجعل من المستحيل تغييرهن.**

وقد شجعت مدارس الارساليات تعليم الفتيات، وفتح المدارس لهن، لما للمرأة من اثر في التربية، ان اثرها في ذلك يفوق اثر الرجل، لذلك اهتموا بهن اهتماماً بالغاً. **وهذا ما دفع هنري جسب الى ان يقول** عن مدرسة البنات في **بيروت**[59]**:**

انها بؤبؤ عيني.

كذلك اهتموا بالمعاهد العليا والجامعات، باعتبار ان هذا القسم من التعليم هو الذي يهيىء قادة البلاد، فاذا استمال المبشرون هؤلاء الذين ينتظر ان يلعبوا ادواراً قيادية في بلادهم، فقد كفلوا الشعب كله.

لقد اتخذ المبشرون العلم ستاراً أو وسيلة لحمل

الناس على اعتناق المسيحية. انهم جميعاً - بلا استثناء - كانوا يرحبون بتنصير اكبر عدد ممكن من الناس. ان الأب بلانشيه، القس والمعلم والمبشر الفرنسي، حاول كثيراً اقناع دي نرڤال بتنصير جاريته زينب. ولم يكن دي نرڤال يمانع في ذلك، بل كان يرحب بهذا الأمر، لكنه كان يريدها ان تعتنق المسيحية عن رضى واقتناع، وليس بالإكراه. ان دي نرڤال يقول وقد وعدته مدام كارليس بأن تحمل جاريته على الدخول في الدين المسيحي:[60]

لن اجد ايدياً افضل من تلك (اي يدي مدام كارليس) **لتعليم الفتاة تعاليم الدين المسيحي واللغة الفرنسية.**

فهي اذا تنصرت، سوف يكون ذلك شرفاً كبيراً للدير، على حد قول دي نرڤال[61]:

كنت أخشى ان يندفع في الخيال ويفكر في أن يمنح الدير شرف تنصير إحدى المسلمات.

لقد اتخذ المبشرون العلم وسيلة لحمل الناس على اتباع النصرانية. لذلك صبغوا العلوم الدنيوية التي تعطى في مدارسهم بهذه الصبغة، كما انهم قد حرّفوا الكثير من حوادث التاريخ، وزيفوا الكثير من الحقائق وشوهوها في كتبهم، وخاصة كتب التاريخ والجغرافية التي امتلأت بمغالطات وتناقضات كثيرة، خدمة لاهداف مبشريهم وخدمة لمصالح الدول التي تمول وترعى حركاتهم. كذلك لم تسلم الأديان الأخرى من الطعن فيها وفي تعاليمها، في ثنايا كتبهم وتضاعيف رواياتهم.

وقد ساعدتهم الطباعة التي نقلوها الى بلادنا مساعدة كبرى في هذا المجال، فقد امدتهم بنسخ لا حصر لها من الكتاب المقدس، اللازمة في مجال التبشير، كذلك ساهمت هذه المطابع في طبع كتبهم الموسومة بطابع التعصب والزيف.

ان خبث مراميهم لم يقتصر فقط على التعليم، بل انه تناول الطب والمستوصفات، تقول ايرا هاريس، تنصح الاطباء الذاهبين في مهمة تبشيرية:[62]

«يجب ان تنتهز الفرص لتصل الى آذان المسلمين وقلوبهم، إياك ان تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات فإنه اثمن تلك الفرص على الاطلاق. ولعل الشيطان يريد ان يفتك فيقول لك: ان واجبك التطبيب فقط لا التبشير، فلا تسمع منه».

اذاً، انطلق الكثير من الاطباء الأجانب الى بلادنا، يتعللون بواجبهم في معالجة المرضى وتخفيف آلامهم، الا انهم في الحقيقة كانوا يريدون التبشير لمذاهب معينة، ويعتقدون انها افضل من غيرها.

يحدثنا جون كارن، في كتابه المترجم بعنوان[63]: **(رحلة في لبنان في الثلث الاول من القرن التاسع عشر)** أن أحد اصدقائه وكان يتعاطى مهنة الطب في دمشق، تركها بعد فترة الى لبنان حيث اقام في اهدن. وكان لديه الأمل في ان ينشر مذهباً يعتنقه ويعتقد انه أفضل المذاهب. لذلك بدأ يدعو الناس الى ديانة انقى واقل شوائب؛ كما اخذ يوزع عليهم نسخاً من انجيل القديس يوحنا ومن سائر أجزاء العهد الجديد مترجمة الى العربية ومطبوعة في انجلترا.

وقد وصلت هذه الاخبار الى مسامع البطريرك الماروني الكبير فأصدر أمره بمنع توزيع الكتب ويجمعها من كل البيوت، وانذر الطبيب الاجنبي بوجوب الامتناع عن نشاطه هذا والا تعرض للحرم، لكن الطبيب لم يعر هذا التهديد أية أهمية، وواظب على زياراته اليومية للمرضى في اهدن وجوارها، فكان يخفف اوجاع المتألمين دون مقابل ولم تلبث نصائحه وادويته ودماثته ورقة طباعه ان جعلته محبوباً من الجميع.

وعلم البطريرك بعناد هذا الطبيب، واستمراره في الخط الذي بدأه فأصدر ضده حرماً كنسياً، منع بموجبه اي انسان من استقباله في بيته او اعطائه شيئاً أو حتى الاتصال به، والا تعرض لعقوبات شديدة، وسرعان ما فعل الحرم فعله، واغلقت في وجه

الطبيب المبشر كل الأبواب.

وعندما يئس هذا الطبيب من إمكانية التبشير لمذهبه ونشره في تلك الربوع جمع امتعته ورحل عن اهدن.

ان هذا الطبيب: شأن غالبية الأطباء الاجانب الذين قصدوا بلادنا متعللين بمزاولة مهنة الطب للتخفيف من آلام المرض وسيلة ينشرون بها مذاهبهم ويبشرون فيها بعقائدهم.

ان المبشرين جميعاً في هذا المجال، يعتقدون دائماً إن ما يرونه هو الاصوب، وان ما يعتقدونه ويفكرون به هو الأفضل، فيحاولون حمل الناس على تغيير مفاهيمهم للأخذ بهذه الآراء والمعتقدات والمذاهب.

ان جون كارن، يفصح عن مثل هذه العقلية في حديثه عن الشرق[64] فهو يرى: «**إن الشرق بحاجة الى معلم مستمر، او على ايسر تقدير الى مبشر ينظف عقائده من عناكب الخرافة**».

ان الشرق بمفاهيمه واعرافه وتقاليده، لا يعجب الغرب ممثلاً في كارن، لذلك يحاول ان يفرض عليه مفاهيمه ويدفعه الى الأخذ بها واعتناقها.

ان كل ما في الدنيا من مذاهب، غير مذهب هؤلاء المبشرين باطل لذلك يحاولون بشتى الطرق، انفاذ مذاهبهم وتعاليمهم الى اذهان الناس رغبة في السيطرة عليهم، لذلك فهم لا يتوانون عن التشكيك في مفاهيم الآخرين ومعتقداتهم، غير آبهين بالمضار الكبيرة التي تسببها ممارساتهم. ان الكاهن اللبناني، لا يسلم من تجريحات كارن وتشكيكه فهو يقول عنه[65].

«**افلا يمكن اذاً للكاهن اللبناني، حتى مع الاخطاء التي تنطوي عليها عقيدته ان يكون انساناً نقياً سعيداً**».

أليس في مثل هذا القول، ما يدعو الى زعزعة العقائد، وزرع الشك في النفوس، ونشر البلبلة الهدامة، مما يساعد على تقويض البنية الاجتماعية وهدم المعتقدات المتوارثة.

ولم يقتصر التبشير على الأطباء فقط، بل ان جهاز التمريض الأجنبي كان يزرع آراءه وافكاره مع جرعات الدواء وحبوبه، كذلك فقد سخر هؤلاء نشاطات الخدمة الاجتماعية واعمال البر والإحسان لخدمة مآربهم.

بقي أن نقول إن الدول التي تبنت حركات التبشير، وكانت تموّل هذه الحركات وتشرف عليها، كانت دولاً عديدة، فبالاضافة الى فرنسا وانجلترا واميركا، كان هناك ايطاليا وروسيا. لقد حمت هذه البلدان قاطبة المبشرين في جميع انحاء العالم، وعملت على تسهيل مهماتهم. وكان اي اعتداء على مبشر أو مرسل او داعية، يشكل تهديداً للبلد الذي ينتمي اليه هؤلاء، أو الجهة التي يعملون لصالحها، فكانت ترسل الحملات والجيوش متذرعة بتأديب المعتدين، وان كانت تهدف حقيقة الى وضع يدها على هذا البلد واستغلال مقدراته وثرواته.

واذا كانت استطلاعات الرحّالات وما وضعوه من كتب وما صدر عن بعثاتهم من ابحاث ودراسات عن لبنان، يساعد في اعطاء صورة واضحة لأحوال لبنان كافة، ويساهم في وضع مشاريع تمهد لاستعماره. فإن المبشرين من الرحّالات يمثلون مرحلة متقدمة جداً من هذه النوايا. انهم اللمسة الأخيرة للخطة التي كانت تعد، والأداة المباشرة لهذا التسلل الاستعماري انهم وسيلة التحرش التي تذرع الاستعمار بحمايتها لكي يتدخل في احوال البلاد، علاوة على الدور الذي لعبته هذه القوى في المجالات كافة.

ولن يغيب عن بالنا ان نشير الى ان ارتال المبشرين التي وصلت الى لبنان قد جاءت ضمن ارساليات للمساعدة والاغاثة «والتحضير» خلال القرن الماضي اثر حوادث وفتن جرّت على لبنان الكثير من الآلام والويلات ويلخص فيليب حتي الوضع اللبناني وطريقة توافد هذه الأرساليات في قوله[66]:

«وجد لبنان نفسه، منذ منتصف القرن التاسع

عشر، في حَمْأة من حروب وفتن دامية لم يكن له عهد بمثلها طيلة تاريخه المديد المليء بالحوادث، وكانت ذروة هذه الحوادث الدامية ثلاث فتن اهلية وقعت بين الدروز والنصارى، وكادت تؤدي بالبلاد الى هاوية من الفوضى والبلاء، هذه الفتن هي فتنة 1841 و 1845 و 1860 . . .

. . ولم تكن حركة الستين كلها شؤماً وظلاماً، فقد كان لها نواح مشرقة تمثلت في استثارتها عطف الدول البروتستانتية عليه. قدمت لجنة انكلوسكسونية الغوث والعون الى عشرين الف لاجيء كما نشطت المؤسسات الافرنسية الكاثوليكية لمتابعة اعمالها بحماس شديد، وقد انتقل معهد اللاهوت اليسوعي الى بيروت بعد ان كان في غزير واصبح النواة التي نشأت حولها جامعة القديس يوسف الحالية، كما انشأ اليسوعيون عدة مدارس عالية للصبيان في زحلة وبكفيا وجزين كما جاءت الارسالية الانكليزية السورية في السنة ذاتها، واسست لها مدارس للصبيان والبنات في بيروت وزحلة وبعلبك وعين زحلتا وشملان، وفي تلك السنة فتحت مدرسة لتدريب المعلمات في بيروت، وقبل نهاية السنة جاءت الراهبات البروسيات اللواتي كن يتخصصن في المياتم والمستشفيات، واسسن لهن مراكز في صيدا، ومن ثم انتقلن الى بيروت ـ وقد بنى مرسان القديس يوحنا المستشفى الالماني الذي كان يقدم خدمات كبيرة للمواطنين، وكانت الراهبات المرضات يدرن شؤونه ويعتنين بالمرضى. وفي مستهل سنة 1863 اتخذت الارسالية الاميركية قراراً بتأسيس كلية للتعليم العالي كانت تعرف بالكلية السورية الانجيلية، والتي هي اليوم الجامعة الاميركية في بيروت.

وقبل ان ينصرم العام كانت الارساليات الاميركية قد اسست لها مراكز في عبيه وسوق الغرب وصيداء وحاصبيا وطرابلس، حيث انشأت مدارس تابعة لها».

لقد كان التبشير بالنصرانية، هدف كل المرسلين الأجانب الذين قصدوا بلادنا، متذرعين بالتعليم والتطبيب واعمال البر والاحسان، لقد كانت كل تلك، اقنعة اخفوا وراءها نواياهم الحقيقية، وكانت ارسالياتهم رافداً مهماً ساهم في السيطرة الاستعمارية[67].

خلاصة الدراسة:

عندما قرر الغرب غزو الشرق والسيطرة عليه، لم يقدم على عمله هذا بسرعة وتهور وارتجال، بل كان من الذكاء والمهارة، بحيث درس اوضاع هذه البقعة من العالم، واستطلع ظروفها واحوالها، وتعرف الى مواطن الضعف فيها، ثم رسم مخططاته، وأعد مشاريعه، مستنداً الى معلومات دقيقة واستنتاجات صحيحة زوده بها جهاز من رجاله، ارتادوا الشرق كرحالات، فكانوا رسل الغرب وعيونه، التي قرأ من خلالها الشرق وتعرف إليه.

من أجل ذلك، انطلقت البعوث، وجاء الرحّالات. لا طمعاً بمشاهدة الشرق فحسب، بل رغبة منهم في التعرف إلى نقاط ضعفه للتسلل من خلالها، ومنافسته فيما يملكه. ومن هنا كانت خطورة استطلاعاتهم ودراساتهم التي استطاعت ان تنقل الشرق الى الغرب بكل أمانة، وتقربه من مداره لتسهل عليه عملية اختراقه موضحة لمن يضعون الخطط، ويعدون المشاريع «كيف يستطيعون» و «من اين يبدأ التسلل».

وقد تميز رحالات القرن التاسع عشر، في كونهم قصدوا الشرق في وقت، كان فيه الغرب يحاول تثبيت اقدامه في قواعد ومستعمرات له في الشرق. يستغل عن طريقها شعوب هذه المنطقة.

كذلك فقد كان هؤلاء مميزين من حيث المستوى الثقافي، بينهم علماء آثار وباحثون في مجالات العلوم الانسانية واطباء وغير ذلك، بعضهم جاء بدافع

الهواية الشخصية وحب الاطلاع أو المغامرة، الا أن القسم الأكبر من هؤلاء قد جاء بتكليف رسمي من حكومات بلاده، التي كانت تموّل بعثاتهم وتشرف عليها.

والذي يعنينا هنا، نوايا هؤلاء الرحالات التي دفعت بهم الى ارتياد بلادنا ومن ثمّ، اهداف دولهم التي استطاعت توظيف نواياهم واعمالهم لصالح مشاريعها الاستعمارية، التي رامت من خلالها السيطرة على الشرق عامة، وعلى لبنان، على وجه الخصوص.

وقد كان لموقع لبنان في قلب الشرق العربي، والنظام التركيبي لسكانه، وتعدد طوائفه، وانفتاحه على دنيا الناس، ما جعل الرحالات يقصدونه ويقضون فترات في ربوعه، يدرسون خلالها احواله كافة، واسلوب حياة سكانه واديانهم وتقاليدهم، وينقبون عن مخلفات الشعوب التي تداولته والحضارات التي تفاعلت على أرضه، مدونين في كل ذلك كتباً ودراسات مستفيضة.

وقد حاول هؤلاء الرحالات في كتبهم ودراساتهم وصف كل شيء بدقة كما لو كان يصور أو يرسم بريشة ماهرة، تعطي فكرة واضحة وصادقة لكل شيء بحيث تحولت اوصافهم الى خرائط غير مرسومة والى أدلة سياحية تجعل رحلة من سيتبعهم اقل عناء.

يقول الرحالة ادوارد روبنسون، في سياق حديثه عن بعلبك، مشيراً الى هذه النقطة[68]:

«ليس في استطاعتي او اختصاصي الوصف والإسهاب في الخطط الانشائية بل ما أعنيه في هذه الكلمات القليلة، ان اضع امام القارىء اللبيب وصفاً مختصراً يمكنه من تكوين فكرة صحيحة عن المكان، وان اضع السائح الذي يأتي بعدي في مركز يمكنه من فهم خلاصة الخرائب، وتوفير العمل والوقت والبحث والدرس له وحده».

وبمقدار ما استطاعت كتب الرحالات ودراساتهم ان تكون وثائق مهمة واساسية للبنان وأحواله، بقدر ما باحت بالكثير من خبايا نفوس واضعيها، وافصحت عما في تلك النفوس من خبث وحقد وكذب.

لقد جاءوا الى بلادنا، الى لبنان، لا محبة به ولكن لكي يكونوا عيون دولهم، لم يكونوا رحالات بقدر ما كانوا رجال استطلاع وتجسس، همهم التوصل الى نقاط الاختراق ومعرفة سبل العبور، وهم، بعقلية الغرب الذي قدموا منه يريدون الاستئثار بكل شيء، يريدون منافستنا فيما نملكه، لقد صعب عليهم ان يلاحظوا مدى ازدهار تجارة الحرير في لبنان، تتعاطاها بيروت وغيرها من المدن اللبنانية، لذلك فكر بعض اصحاب المناسج الاوروبية بانشاء اعمال ومتاجر لهم هنا، وبالفعل جاء الكثير منهم الى بيروت، كذلك نزلت عائلات فرنسية، كثيرة مدينة طرابلس لهذا الهدف.

لقد نزلوا بلادنا، لا بهدف «تمديننا» و «تحضيرنا»، بل ليضعوا ايديهم على منابع ثروتنا، وليكونوا فرسان كل عمل رائج، يجنون من ورائه ارباحاً طائلة.

كذلك كان هؤلاء اصابع دولهم، التي دأبت على خلق القلاقل والفتن وزرع الحقد والضغينة. مؤججة الخلافات بين الطوائف، محركة النصارى ضد الدروز وبالعكس، مشيعة جواً من الفوضى والاضطراب، مستفيدة ومتسترة بالامتيازات التي خصّت بها في ظل الحكم العثماني، ومتمتعة بحماية قناصل بلادها.

حتى بعثاتهم الأثرية والتاريخية، لم تأت الى لبنان، وتتكلف ما تكلفته من مشقات، وتتجشم كل مصاعب الحفريات والتنقيب، لمجرد إماطة اللثام عن معالم حضارتنا، أو لابراز اهمية المخلفات الأثرية التي تزخر بها متاحفنا ولكن تحملوا كل ذلك في سبيل البحث عن قبور ملوكهم[69] ورفات فرسانهم من الصليبيين، الذين لقنتهم هذه الارض درساً وعبرة وكانت لهم مثوى. لم يأتوا ليتعرفوا الى الحضارات المتتالية التي تفاعلت على أرضنا بل لاختيار اعظم واجمل ما خلفته تلك الحضارات، يأخذونه او

يشترونه، ولكن بأبخس الأثمان يجرون به الى بلادهم، ليزينوا به المتاحف والقصور. لقد كان الغرب يحب الاستئثار بكل شيء، وبالاحسن، فتذرع بالحفريات الأثرية وبالتنقيب عن الآثار في سبيل ما ينشده من غنى حضاري متنوع.

كذلك استطاع اصحاب النفوس الخبيثة، تبديد تراثنا الفكري، المتمثل في مخطوطات أثرية قديمة، انتزعن من ارضها بمختلف الطرق والوسائل، لتجد طريقها الى مكتبات الغرب ومكاتبه الاستشراقية.

وقد استغل الغربيون قلة المدارس عندنا، وندرة الكتب، لكي يغرقوا بلادنا بارسالياتهم ومبشريهم، يعيث هؤلاء في ارضنا فساداً، ويزرعون بذور الحقد والفرقة بين ابناء الوطن الواحد.

ولعل من ابرز مساوىء ارسالياتهم، التزامها التبشير، محاولة به اجتذاب المسلمين الى صفوف النصارى، هادفة الى تفكيك عرى الدين الاسلامي، متسببة في زعزعة عقيدة الناشئة والأجيال الصاعدة، كذلك محدثة مشاكل كثيرة بتبشيرها داخل الطوائف المسيحية نفسها، مضيفة في هذا المجال إلى آلام الانسانية ألاماً جديدة، واصمة الضمير الانساني بالنفاق.

أما التعليم، فكان ميداناً واسعاً، استطاع الغرب من خلاله ضرب مجتمعنا وقيمه، والاساءة الى تراثنا وحضارتنا، وقد استطاعوا عن طريق التعليم ان يصيبوا برمية واحدة عدة أهداف:

ـ لقد خلقوا هوة بين طلابنا ولغتهم الأم وتراثهم الحضاري، بوسائل تعليمهم المختلفة التي كانت تعمل على تمكين طلابها من لغاتها الأجنبية، وتحببهم بآدابها، محاولة التقليل من قيمة تراثنا الأدبي، توصلاً الى ابعادنا عن منابع حضارتنا، واضعافنا في لغتنا، وفصم عرى ارتباطنا بثقافتنا وتراثنا.

ـ كذلك قصرت وسائل هذه الارساليات جهودها على تزيين الحياة عندها لطلابنا، مما ربط الكثير من ابنائنا بطرق غريبة عن اساليب الحياة عندنا، مما ادى الى تباعد هؤلاء عن بيئتهم وأصالتهم، والى سلخ الكثيرين عن جذورهم، بحيث باتوا يعتقدون انهم اقرب الى الغرب ثقافة وعقيدة منهم الى الشرق ديناً وقومية.

ـ كذلك فقد كانت اجهزتهم تركز على الطائفية في تعليمها، فخلقت هوة واسعة بين ابناء الوطن الواحد، لقد كان افراد هذه الارساليات يسخرون مساعداتهم وعلمهم لزرع التفرقة والشقاق بين افراد الشعب اللبناني، محاولين الايقاع بين الطوائف هادفين الى توسيع الشقة بينها، وربما تجسد القصة التالية مآرب هؤ لاء الأجانب في لبنان:

يقول اسعد داغر[70] في كتابه ـ مذكراتي على هامش القضية العربية ـ إنه كان احد تلاميذ معهد عينطورة، في الوقت الذي انضم فيه الى المعهد رياض الصلح (1893-1951) الذي تولى فيها بعد رئاسة الوزارة اللبنانية، فتصادق الاثنان واصبحا يلعبان معاً، لكن ناظر المدرسة الفرنسي ازعجه توافقهما ومحبتهما لبعضهما البعض، فانتحى بأسعد زاوية وحذره من اللعب مع رياض الصلح، لأن رياض مسلم ويقتل. فأوجس اسعد خيفة من رياض، لكن هذا الخوف لم يلبث ان تبدد بتصارح الاثنين، وبعد ان تأكد اسعد داغر ان رياض الصلح لا يستعمل آلة حادة يقتل بواسطتها، وادرك ان كل ادعاءات الناظر الفرنسي كانت مجرد افتراءات كاذبة للايقاع بينهما.

ان تعليم الارساليات كان سيئاً، بتركيزه على تراثه الاجنبي مما خلق هوة بين اللبناني وادبه القومي، كما كان تعليمهم يركز على الطائفية، مما ساهم في نشوء عداوة كبيرة بين افراد الوطن الواحد، والى شطر ابنائه من حيث المواطنية الى فئتين متباينتين.

وكما سخر المبشرون التعليم في تشويه العقائد وتزييف الأفكار وتزويد التاريخ وافساد الشعوب، لم يفتهم ان يستفيدوا من آلام الناس واوجاعهم،

فراحوا يسخرون الطب والتمريض واعمال البر والاحسان توصلاً الى مآربهم في سلخ المسلمين عن دينهم وغير المسلمين عن طوائفهم، مستفيدين من آلام الناس وفاقة بعضهم لينفذوا الى دخائلهم ويزعزعوا ما استقر في النفوس من عقيدة دينية، أو نحلة طائفة من الطوائف

وحركة الغرب هذه لم تغفل الناحية الاجتماعية، لذلك فقد حاولت، تحت ستار تمدين المجتمع الشرقي - إبعاد هذا المجتمع عن جذوره وأصوله، وجعله يماشي المجتمعات الغربية، وهنا تبدو الخطورة اذ ان هذا المجتمع، في تحضره السريع ولحاقه بمجتمع الغرب لن يستطيع التخلي عن ذاتيته وستظل اصوله تشده إليها. وبالتالي فسيتحول الى مجتمع مشتت، تتنازعه الاهواء المتضاربة، وتمزقه التناقضات المذهلة، فلا هو مجتمع شرقي محض، لأنه قد تخلى عن بعض عاداته مراعاة لوضعيته الجديدة، ولا هو مجتمع غربي بمماشاته عادات الغرب وتقاليده مما سيفقده هويته وطابعه ويحوله الى مجتمع ضائع، افراده مخلوقات ضائعة، لا تدري على اي اتجاه تستقر.

ان الغرب الخبيث الحاقد، الذي يمزقه حسده، وتكاد تقتله غيرته، عرف كيف يتسلل الى هذا الشرق الوادع الطيب، الى هذا الشرق المحظوظ، الذي حبته الطبيعة بالكثير، وقد استطاع الغرب اخفاء نواياه، فزعم انه قادم لتمدين الشرق ونقله الى ضفة الحضارة، فإذا به ينفذ الى هذه المجتمعات المسحورة ينفث فيها سمومه واكاذيبه، بهدف ضرب هذه المجتمعات وتفتيتها والقضاء على بنيتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بهدف السيطرة عليها.

وهو لم يستثن لبنان، رغم تعاطف بعض طوائفه مع بعض شعوب اوروبة فحاول بكل السبل بلبلة الوضع الاجتماعي والثقافي فيه، وربطه برباط مصالح الغرب الجشعة.

الحواشي

(1) شرق وغرب نحو تفاهم متبادل، تأليف جورج فرادييه، ترجمة محمد ابراهيم زكي، مؤسسة سجل العرب، القاهرة 1964 ص 19.

(2) الشرق والغرب: د. أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر مصر1955، ص 140.

(3) قصة الإنسان: د. جورج حنا، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين بيروت 1963 ص 146.

(4) الشرق والغرب: د. احمد أمين، ص 137.

(5) اي كونه حراماً وحلالاً.

(6) الشرق والغرب: د. أحمد أمين، ص 140.

(7)، (8)، (10) قصة الإنسان: د. جورج حنا، ص 292,293,204.

(9) الشرق والغرب: د. احمد امين ص 22.

(11) و (12) قصة الإنسان: د. جورج حنا ص 208,204.

(13) Islam and Missions by E.M. Wherry, S.M. Zwemer, and c.g. Mylrea New York 1911, p:93,68,69

(14) Islamsludien. Von C.H. Becker Zwel Baende, leipzig 1924 Und 1932,3

(15) The Prospects of Islam by Laurence, E. Browne, London 1944 P: 37

(16) التيارات السياسية المعاصرة: د. عبدالحميد البطريق، الطبعة الاولى، مطابع دار الكتب - بيروت 1971 ص 47.

(17) المرجع السابق نفسه ص 52.

(18) بالنسبة لهذه النقطة راجع: الاستعمار المقنع، تأليف: د. جلال يحيى محمد جلال عباس، محمود سعيد عبدالعزيز وعبدالغني الزناتي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1960 والاستعمار الحديث تأليف: ر. ج هاريسون تشرش، ترجمة: د. دولت صادق ود. محمد غلاّب دار القومية العربية للطباعة والنشر مصر، والاستعمار الاقتصادي تأليف: الفريد ترايرومان، ترجمة محمد عاشور، مطبعة العلوم، مصر.

(19) قصة الانسان: د. جورج حنا ص 147.

(20) الاستعمار الاقتصادي (سبق ذكر بياناته في رقم 18) ص 3.

(21) الشرق والغرب: د. احمد امين، ص 64.

(22) بشير جيرار دي نرفال (وهو رحالة فرنسي زار لبنان والشرق في القرن الماضي، وهو مؤلف كتاب رحلة الى الشرق يشير الى التكاليف الباهظة التي يتكلفها الانسان اذا حاول السفر، وذلك في كتابه المذكور ج 1 ص 3، كما يشير الى ارتفاع اسعار الفنادق في لبنان في حديثه عن فندق ياتستنا في بيروت جزء 2 ص 412.

(23) لامرتين، ترجمته ورحلته الى الشرق، ترجمة الياس ابو شبكة مكتبة صادر - بيروت (سنة الطبع لم تذكر) ص 44.

(24) رحلة في لبنان في الثلث الأول من القرن التاسع عشر، تأليف جون كارن، اختار فصولها وعربها: رئيف خوري، دار المكشوف، الطبعة الثانية، بيروت 1949 ص 37.

(25) رحلة الى الشرق، تأليف جيرار دي نرڤال، ترجمة كوثر البحيري دار العهد الجديد للطباعة، مصر، جزء 2 ص 415.

(26) المرجع السابق نفسه، ج 2 ص 413,412.

(27) و(28) المرجع السابق نفسه، ج 1 ص 19.

(29) المرجع السابق نفسه، ج 2 ص 408.

(30) مشاهدات في لبنان: تأليف د. لويس لورثيه، فصول من كتابه: سورية اليوم نقلها الى العربية كرم البستاني، مطبوعات دار المكشوف، ط ثانية، بيروت 1915 ص 152. د. لويس لورثيه: رحالة فرنسي، زار لبنان.

(31) تحدث هنري غيز، وهو قنصل فرنسي ورحالة، في كتابه «بيروت ولبنان في قرن ونصف القرن» عن عقيدة الدروز ص 51-57 كما تحدث عن الطائفة المارونية ونشأتها في نفس الكتاب ص 35-47.

(32) تحدث جيرار دي نرفال عن الدروز وعقائدهم في كتابه رحلة الى الشرق جزء 2 ص 493-499.

(33) Voyage en Orient

ALPHONES de LAMARTINE

Édition critique avec document inédits Par LoTFY FAM Librairie Nizet- Paris, P. 151.

(34) بالنسبة لهذه النقطة يمكن مراجعة الكتابين الأجنبيين اللذين اشير اليهما في رقم 13 و 15.

(35) رحلة الى الشرق: جيرار دي نرڤال جزء 2 ص 413.

(36) رحلة كتغلك الى الشرق 1834-1835، المطابع التعاونية 1971 عمان، الاردن ص 31، ولبنان في التاريخ، تأليف د. فيليب حتي، ترجمة د. انيس فريحة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت 1959، ص 519.

(37) مشاهدات في لبنان: د. لويس لورثيه، ص 265.

(38) المرجع السابق نفسه ص 181.

(39) يوميات في لبنان: ادوارد روبنسون، فصول من كتاب: بحث توراتي عن فلسطين والأقاليم المجاورة، اختارها وترجمها: أسد شيخاني، جزآن، ط اولى، دار المكشوف، بيروت، 1949 و 1950، ج 1 ص 100.

(40) (41) مشاهدات في لبنان ص 261 و 65.

(42) الطناطير، مفردها طنطور او طرطور، مخروط من الفضة الموشاة والمذهبة، تتأرجح عليه من خلف الرأس غلالة دقيقة، وهو ما تبقى من مستحدثات الملابس في العصور الوسطى.

(43) (44) مشاهدات في لبنان ص 314 و 69.

(45) (46) مشاهدات في لبنان: د. لويس لورثيه ص 108 و 113 .

(47) المخطوطات المارونية في العالم: نشرة من اصدار الفرع الثاني لكلية الاعلام والتوثيق في الجامعة اللبنانية بيروت 8/1982 الخوراسقف بطرس الجميل.

(48) او(49) المرجع السابق نفسه ص 7,8.

(50) لبنان في التاريخ د. فيليب حتي ص 557.

(51) فهرس مخطوطات دير البلمند: رشيد حداد وفايز فريجات، دار الكلمة - بيروت

(52) يوميات في لبنان: ادوارد روبنسون جزء 1 ص 116-117.

(53) راجع رقم 24.

(54) (55) و(56) رحلة إلى الشرق: جيرار دي نرفال جزء 2 ص 414 و515 .

(57) The Moslem World of To-day, John Mott (éditor) London 1925.

(58) رحلة الى الشرق: جيرار دي نرفال جزء 2 ص 483.

(59) Fifty Three Years in Syria by Henry Jessup N.Y. 1910 P. 280.

(60) (61) رحلة الى الشرق: جيرار دي نرفال جزء 2 ص 406 و 408.

(62) Methods of Mission, Work among Moslem, being, those paper read at the first Missionary conference on behalf of the Mohammedan World held at Cairo Apr 4th to 8th 1906 (crossed for Private circulation only) N.y 1906 p 105.

(64) (65) المرجع السابق نفسه ص 7 و 77.

(66) لبنان في التاريخ، د. فيليب حتي ص 545,525.

(67) الاستشراق د. ادوارد سعيد ص 124.

(68) يوميات في لبنان: ادوارد روبنسون جزء 2 ص 294.

(69) ارسلت الحكومة البروسية سنة 1874 بعثة اثرية كان بين علمائها سب وبرونز للبحث عن ناووس فردريك الاول ملك بروسيا الا ان حفرياتها لم تؤد الى نتائج ايجابية. لورتيه: مشاهدات في لبنان ص 106.

(70) مذكراتي على هامش القصة العربية: اسعد داغر، مطبعة العروبة - القاهرة ص 19-20.

المراجع العربية

(1) د. احمد امين: الشرق والغرب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1955.

(2) ادوارد روبنسون: يوميات في لبنان (فصول من كتابه: بحث توراتي عن فلسطين والاقاليم المجاورة) اختارها وترجمها اسد شيخاني، الجزء 1 و 2 الطبعة الأولى - دار المكشوف، بيروت 1950.

(3) أسعد داغر: مذكراتي على هامش القضية العربية. مطبعة العروبة للطباعة.

(4) الوزير ترايرومان: الاستعمار الاقتصادي، ترجمة محمد عاشور، مطبعة العلوم -

(5) بطرس الجميل (الخوراسقف) المخطوطات المارونية في العالم، نشرة من اصدار الفرع الثاني لكلية الاعلام والتوثيق بالجامعة اللبنانية - بيروت. 6/1982.

(6) د. جلال يحيى، محمد جلال عباس، محمود سعيد عبدالعزيز، وعبدالغنى الزناتي: الاستعمار المقنع، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة 1960.

(7) د. جورج حنا: قصة الانسان، الطبعة الرابعة، دار العلم للملايين بيروت 1963.

(8) جورج فراديه: شرق وغرب نحو تفاهم متبادل، ترجمة محمد ابراهيم زكي - مؤسسة سجل العرب 1964.

(9) جون كارن: رحلة في لبنان في الثلث الاول من القرن التاسع عشر اختار فصولها ونقلها الى العربية: رئيف خوري عن كتاب المؤلف سوريا والأرض المقدسة وآسية الصغرى، الطبعة الثانية، دار المكشوف، بيروت 1949.
(10) جيرار دي نرفال: رحلة الى الشرق، كوثر البحيري، دار العهد الجديد للطباعة والترجمة، الجزء 1 و 2.
(11) ر. ج هاريسون تشرش، الاستعمار الحديث ترجمة د. دولت صادق ود. محمد غلّاب دار القومية العربية للطباعة والنشر، مصر.
(12) رشيد حداد وفايز فريجات: فهرس مخطوطات دير البلمند دار الكلمة بيروت.
(13) زكي نقاش: التبشير وسيلة من وسائل الاستعمار بيروت 1970 (مكان الطبع غير مذكور)
(14) د. عبدالحميد البطريق: التيارات السياسية المعاصرة، الطبعة الأولى مطابع دار الكتب ـ بيروت 1971.
(15) د. فيليب حتي: لبنان في التاريخ، ترجمة د. انيس فريحة مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بيروت 1959.
(16) كتغلك: رحلة كتغلك الى الشرق، ترجمة محمود العابدي المطابع التعاونية، عمان ـ الاردن 1971.
(17) لامرتين: الفونس دي، ترجمته ورحلته الى الشرق، ترجمة الياس ابو شبكة دار صادر ـ بيروت (سنة الطبع غير مذكورة).
(18) د. لويس لورثيه: مشاهدات في لبنان فصول من كتابه (سورية اليوم) اختارها ونقلها الى العربية كرم البستاني دار المكشوف ـ بيروت 1951.
(19) د. مصطفى خالدي ود. عمر فروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية الطبعة الثالثة بيروت 1964 (لم يذكر اسم المطبعة او دار النشر).
(20) هنري غيز: بيروت ولبنان في قرن ونصف القرن، ترجمة مارون عبود ـ دار المكشوف 1951.

المراجع الاجنبية

(21) Becker: C.H islamstudien, Zwel baende, leipzig 1924 Und 1932.
(22) Browne: Laurence. E.The, Prospects of Islam London 1944.
(23) Lamartin: Alphones de, Voyage enorient Édition critiqué avec documents inédits par LOTFY FAM, Librairie Nizet-Paris
(24) Moth: John (éditor) The Moslem World of Topday London 1925.
(25) Piolant: M. AVIAN de Piolant: Au Pays des Maronites, Librairie H. Oudin. France.
(26) Wherry E.M, S.M. Zwemer and c.g Mylrea New York 1911.